٢٨ فضل المراقبة لله (١)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله ، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

عباد الله :اتقوا الله تعالى وراقبوه وعلموا أن مراقبة الله – عَزَّوَجَلَّ – تحيي القلوب الميتة وتوقظ الضمائر النائمة ومراقبة الله – عَزَّوَجَلَّ – تجعل الأمة في خير وأمن وأمان ومأمن من كل المصائب والفتن .

مراقبة الله – عَزَّوَجَلَّ – من أجل الطاعات وأفضل القربات.

قال الإمام ابن القيم –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى– :والمراقبة، هي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق –سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ– على ظاهر ه وباطنه . (١)

وكم من الآيات العظيمة والأحاديث الكثيرة في الترغيب والحث على مراقبة الله – عَزَّوَجَلَّ – في السر والنجوى:

قال تعالى ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴾ [ق : ١٦] .

وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا۟ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ۚ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [يونس : ٦١] .

وقال تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤] .

قال الحافظ ابن كثير –رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى–(٢) :أي رقيب عليكم ، شهيد على أعمالكم حيث أنتم ، وأين كنتم، من بر أو بحر في ليل أو نهار في البيوت أو في القفار الجميع في علمه على السواء ، وتحت بصره وسمعه، فيسمع

(١) مدارج السالكين :ج٢(٦٥) .
(٢) تفسير ابن كثير :ج٤(٣٠٥) .

كلامكم ويرى مكانكم ، ويعلم سركم ونجواكم

وقال تعالى ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق : ١٤] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾[هود : ٥] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ ۖ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبأ : ٣] .

وقال تعالى : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر : ١٤] .

وقال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [المجادلة : ٧] .

وقال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾[الشعراء : ٢١٨-٢٢٠] .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [آل عمران : ٢٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ

ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمۡ أَرۡدَىٰكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ [فصلت: ١٩-٢٣].

وعند الإمام الترمذي [١] عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: « **اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخُلق حسن** ».

وثبت عند البيهقي في السُنن الكبرى [٢] عن عبد الله بن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: « **ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان، من عبد الله وحده، فإنه لا إله إلا الله، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه، رافدة عليه في كل عام، ولم يعط الهرمة ولا الدرنة، ولا الشرط اللائمة ولا المريضة، ولكن من أوسط أموالكم فإن الله - عَزَّوَجَلَّ - لم يسألكم خيره ولم يأمركم بشره، وزكى عبد نفسه** »، فقال رجل: ما تزكية المرء نفسه يا رسول الله، قال: « **يعلم أن الله معه حيث ما كان** ».

قال الإمام الذهبي -رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى-: قوله ﷺ « **أن الله معه حيثما كان** »، « يريد أن الله محيط علمه بكل مكان، والله على العرش ».

وفي الصحيحين [٣] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: « **سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: إمام عادل، وشاب نشأ في عبادة الله - عَزَّوَجَلَّ -، ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه** ».

(١) صحيح الترمذي برقم (١٩٨٧).
(٢) السُنن الكبرى للبيهقي ج٤(٣٤٧) الصحيحة :برقم (١٠٤٦).
(٣) البخاري برقم(٦٢٩) ومسلم برقم (١٠٣١).

وصح في شعب الإيمان [١] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **ثلاث منجيات وثلاث مهلكات ، فأما المنجيات : فتقوى الله في السر والعلانية ، والقول بالحق في الرضى والسخط ، والقصد في الغنى والفقر ، وأما المهلكات : فهوى متبع ، وشح مطاع ، واعجاب المرء بنفسه وهي أشدهن**»

عباد الله: « إن الله – عَزَّوَجَلَّ – يعلم السر وأخفى لا تخفى عليه خافية في الأرض ولافي السماء فأين مراقبتنا لله – عَزَّوَجَلَّ – وأين حياؤنا من رب العالمين فما بالنا نرتكب الذنوب والمعاصي دون خوف ولا حياء من الله وهذا دليل على ضعف إيماننا وسوء مراقبتنا لربنا –تَبَارَكَ وَتَعَالَى– .

قال سفيان الثوري –رَحِمَهُ اللَّهُ– :عليك بالمراقبة ممن لا تخفى عليه خافية وعليك بالرجاء ممن يملك الوفاء وعليك بالحذر ممن يملك العقوبة .

وقال ابن المبارك –رَحِمَهُ اللَّهُ– :لرجل راقب الله تعالى يا فلان فسأله عن المراقبة فقال له كن أبدًا كأنك ترى الله – عَزَّوَجَلَّ – .

واسمع إلى عاقبة من لا يراقب الله : جاء في سُنن ابن ماجه [٢] عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال : « **لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء ، فيجعلها الله – عَزَّوَجَلَّ – هباء منثورا** ، قال ثوبان : يا رسول الله صفهم لنا جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم ، **قال : أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ، ويأخذون من الليل كما تأخذون ، ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**» .

وقال حاتم الأصم –رَحِمَهُ اللَّهُ تعالى– : « تعاهد نفسك في ثلاث إذا

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي برقم (٧٢٥٢) والمشكاة برقم (٥١٢٢) .
(٢) صحيح سُنن ابن ماجه :برقم (٤٢٤٥) .

عملت فاذكر نظر الله اليك وإذا تكلمت فاذكر سمع الله منك وإذا سكت فاذكر علم الله فيك» . (١)

وقال بعض السلف : من راقب الله في خواطره عصمه في حركات جوارحه .

وقال أبو حفص لأبي عثمان النيسابوري : إذا جلست للناس فكن واعظًا لقلبك ولنفسك ولا يغرنك اجتماعهم عليك فإنهم يراقبون ظاهرك والله يراقب باطنك (٢)

وجاء في صحيح مسلم (٣) عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال « **بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ، ووضع كفيه على فخذيه ، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام ، فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ﷺ ،وتقيم الصلاة ،وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ،وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ، قال : صدقت قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه ،قال : فأخبرني عن الإيمان ،قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ،وتؤمن بالقدر خيره وشره ، قال: صدقت قال: فأخبرني عن الإحسان ،قال : أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال: فأخبرني عن الساعة ، قال : ما المسئول عنها بأعلم من السائل، قال : فأخبرني عن إمارتها، قال: أن تلد الأمة ربتها ،وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء ،يتطاولون في البنيان ، قال: ثم انطلق**

(١) سير أعلام النبلاء:ج١١(٤٨٥) .
(٢) مدارج السالكين :ج٢(٦٦) .
(٣) مسلم برقم (٨) ورواه البخاري :برقم (٥٠) ومسلم :برقم(٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فلبثت مليًّا ثم قال لي : يا عمر أتدري من السائل ؟، قلت: الله ورسوله أعلم قال فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم» .

وجاء في سُنن الترمذي [(١)] عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : كنت خلف رسول الله ﷺ يومًا فقال : « **يا غلام إني أعلمك : كلمات احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ، لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء ، لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف**» .

وما أعظم وصية لقمان لابنه ، قال الله تعالى اخبارًا عنه : ﴿ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ﴾ [لقمان :١٦] .

نفعني الله وإياكم بهدي كتابه وسُنَّة نبيه محمد ﷺ ، أقول قولي هذا واستغفر الله العظيم لي ولكم ولسائر المسلمين من كل ذنب فاستغفروه ، إنه غفور رحيم.

(١) صحيح الترمذي :برقم (٢٥١٦) .

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي يوقظ القلوب الغافلة بالوعظ والتذكير، أحمده سبحانه له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، البشير النذير والسراج المنير صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون :قد سمعتم أدلة عظيمة من القرآن والسُّنَّة في أهمية المراقبة وشأنها ومما يدل أيضًا على فضل المراقبة لله رب العالمين ، ما رواه الإمام مسلم في صحيحه [١] ، عن بريدة بن الحصيب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: جاءت الغامدية فقالت : يا رسول الله إني قد زنيت فطهرني ، وإنه ردها فلما كان الغد قالت: يا رسول الله لم تردني لعلك أن تردني كما رددت ماعزا فوالله إني لحبلى ، قال: «**إما لا فاذهبي حتى تلدي** » .

فلما ولدت أتته بالصبي في خرقة قالت : هذا قد ولدته ، قال : اذهبي فأرضعيه حتى تفطميه ، فلما فطمته أتته بالصبي في يده كسرة خبز فقالت: هذا يا نبي الله قد فطمته وقد أكل الطعام ، فدفع الصبي إلى رجل من المسلمين ثم أمر بها فحفر لها إلى صدرها ، وأمر الناس فرجموها ، فيقبل خالد بن الوليد بحجر فرمى رأسها ، فتنضح الدم على وجه خالد فسبها، فسمع نبي الله ﷺ سبه إياها فقال : « **مهلًا يا خالد ، فوالذي نفسي بيده لقد تابت توبة ، لو تابها صاحب مكس لغُفِر له ، ثم أمر بها فصلى عليها**

(١) صحيح مسلم :برقم (١٦٩٥).

ودفنت» المكس: الضريبة التي يأخذها الماكس، وهو العشار.[١]

وجاء في صحيح مسلم[٢] عن عمرآن بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: « أن امرأة من جهينة أتت نبي ﷺ وهي حبلى من الزنى فقالت: يا نبي الله أصبت حدًا فأقمه علي، فدعا النبي ﷺ وليها فقال: أحسن إليها فإذا وضعت فائتني بها، ففعل فأمر بها النبي ﷺ فشكت عليها ثيابها ثم أمر بها فرجمت ثم صلى عليها، فقال له عمر: تصلي عليها يا نبي الله وقد زنت فقال: « **لقد تابت توبة، لو قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت توبة أفضل من أن جادت بنفسها لله تعالى**».

فلولا مراقبة هؤلاء لله - عَزَّوَجَلَّ - لما جاؤوا تائبين إلى رسول الله ﷺ يطلبون إقامة الحد عليهم وهكذا خبر الثلاثة النفر اللذين آواهم المبيت إلى غار، ففي الصحيحين[٣] عن عبد الله بن عمر بن الخطاب، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه، فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار، فقالوا: إنه لا ينجيكم من الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم قال رجل منهم: اللهم كان لي أبوان شيخان كبيران، وكنت لا أغبق قبلهما أهلًا ولا مالًا فنأى بي طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلًا أو مالًا، فلبثت والقدح على يدى أنتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمي فاستيقظا فشربا غبوقهما، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة، فانفرجت شيئًا**

(١) النهاية في غريب الحديث ج٤(٣٤٩).
(٢) صحيح مسلم :برقم (١٦٩٦).
(٣) صحيح البخاري :برقم:(٢٢٧٢) ومسلم :برقم (٢٧٤٣).

لا يستطيعون الخروج منه. قال الآخر: اللهم إنه كانت لي ابنة عم كانت أحب الناس إلي» وفي رواية: «**كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء، فأردتها على نفسها فامتنعت منى حتى ألمت بها سَنَة من السنين ، فجاءتني فأعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بيني وبين نفسها ففعلت، حتى إذا قدرت عليها**» وفي رواية: «**فلما قعدت بين رجليها، قالت: اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه، فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلي وتركت الذهب الذي أعطيتها، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها. وقال الثالث: اللهم إني استأجرت أجراء وأعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذي له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءني بعد حين فقال: يا عبد الله أد إلي أجري، فقلت: كل ما ترى من أجرك: من الإبل والبقر والغنم والرقيق ، فقال: يا عبد الله لا تستهزئ بي، فقلت: لا أستهزئ بك، فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئًا، اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون** » .

وجاء في الصحيحين [١] أيضًا عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول : « **إن ثلاثة من بني إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، أراد الله أن يبتليهم فبعث إليهم ملكًا، فأتى الأبرص فقال: أي شيء أحب إليك؟ قال: لون حسن، وجلد حسن، ويذهب عني الذي قد قذرني الناس، فمسحه فذهب عنه قذره وأعطي لونًا حسنًا. قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الإبل - أو قال البقر- شك الراوي -فأعطي ناقة عشراء، فقال: بارك الله لك فيها.**

(١) صحيح البخاري :برقم:(٢٢٧٢) ومسلم :برقم (٢٧٤٣).

فأتى الأقرع فقال: أي شيء أحب إليك؟، قال: شعر حسن، ويذهب عني هذا الذي قذرني الناس، فمسحه عنه ، فأعطي شعرًا حسنًا ، قال: فأي المال. أحب إليك؟ قال: البقر، فأعطي بقرة حاملًا، وقال: بارك الله لك فيها.

فأتى الأعمى فقال: أي شيء أحب إليك؟ ،قال: أن يرد الله إلي بصري فأبصر الناس فمسحه فرد الله إليه بصره، قال: فأي المال أحب إليك؟ قال: الغنم فأعطي شاة والدا فأنتج هذان وولد هذا، فكان لهذا واد من الإبل، ولهذا واد من البقر، ولهذا واد من الغنم، ثم إنه أتى الأبرص في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين قد انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي أعطاك اللون الحسن، والجلد الحسن، والمال، بعيرًا أتبلغ به في سفري، فقال: الحقوق كثيرة، فقال: كأني أعرفك ألم تكن أبرص يقذرك الناس، فقيرًا، فأعطاك الله، فقال: إنما ورثت هذا المال كابرًا عن كابر، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلى ما كنت، وأتى الأقرع في صورته وهيئته، فقال له مثل ما قال لهذا، ورد عليه مثل مارد هذا، فقال: إن كنت كاذبًا فصيرك الله إلي ماكنت، وأتى الأعمى في صورته وهيئته، فقال: رجل مسكين وابن سبيل انقطعت بي الحبال في سفري، فلا بلاغ لي اليوم إلا بالله ثم بك، أسألك بالذي رد عليك بصرك شاةً أتبلغ بها في سفري؟ فقال: قد كنت أعمى فرد الله إلي بصري، فخذ ما شئت ودع ما شئت، فوالله ما أجهدك اليوم بشيء أخذته لله - عَزَّوَجَلَّ -، فقال: أمسك عليك مالك ،فإنما ابتليتم فقد رضي الله عنك، وسخط على صاحبيك» .

فانظر يا عبد الله :كيف رضي الله عن الأعمى الذي راقب الله رب العالمين ، وسخط على الأبرص والأقرع لأنهما لم يراقبا الله تعالى .

ولله در من قال :

وإذا خلوت بريبة في ظلمــة والنفس داعيــة إلى الطغيان
فاستحِ من نظر الإلــه وقل لها إن الــذي خلق الـظـلام يـراني

وقال آخر:

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوت ولكن قل عليَّ رقيــب
ولا تحسبن الله يغفل ساعــة ولا أنــما تخفي عليه يغيــب
ألم تر أن اليوم أسرع ذاهــب وأن غـدًا للناظرين قريـــب

أسأل الله أن يرزقنا وإياكم إيمانًا كاملًا ، ويقينًا صادقًا ، وأن يهب لنا من تقواه ، ما يقربنا إليه ويدنينا منه ، إنه جواد كريم بر رحيم .

والحمد لله رب العالمين .

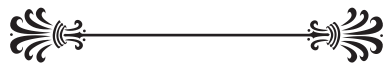

٢٩ فضل المراقبة لله (٢)

الخطبة الأولى:

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ﴾ [آل عمران :١٠٢] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء :١] .

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب :٧٠-٧١] .

أما بعد:

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها ، وكل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار.

عباد الله: اتقوا الله تعالى وراقبوه وعلموا أن مراقبة الله - عَزَّوَجَلَّ -

تحيي القلوب الميتة وتوقظ الضمائر النائمة ومراقبة الله - عَزَّوَجَلَّ - تجعل الأمة في خير وأمن وأمان ومأمن من كل المصائب والفتن .

قال ابن القيم -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى- [١]:المراقبة: هي دوام علم العبد وتيقنه باطلاع الحق -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- على ظاهر ه وباطنه.

وقال أيضًا -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: والمراقبة هي التعبد باسمه الرقيب، الحفيظ، العليم، السميع، البصير، فمن عقل هذه الأسماء، وتعبد بمقتضاها: حصلت له المراقبة[٢].

وذكر أهل العلم أن المراقبة تكون في أمور ثلاثة :

الأول :مراقبة الله في طاعته بالعمل الذي يرضيه .

الأمر الثاني :مراقبة الله عند ورود المعصية وذلك بتركها .

الأمر الثالث :مراقبة الله في الهم والخواطر والسر والإعلان .قال الله تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [القصص:٦٩].

عباد الله مراقبة الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ- عبادة عظيمة وشعيرة جليلة إذا رُزقها الإنسان عصم بإذن الله من ارتكاب الذنوب والمعاصي.

قال بعض السلف الصالح : من راقب الله في خواطره ، عصمه في حركات جوارحه . [٣]

إليه وإلَّا لا تُشَدُّ الركائبُ ومنه وإلَّا فالمؤَمِّلُ خائبُ
وفيه وإلَّا فالغَرامُ مضَيَّعُ وعنه وإلَّا فالمُحدِّثُ كاذبُ

قال بعض السلف: أعظم العبادات مراقبة الله في سائر الأوقات.

(١) مدارج السالكين :ج٢(٧٣).
(٢) مدارج السالكين :ج٢(٧٤).
(٣) مدارج السالكين :ج٢(٧٣).

أيها المسلمون : كتاب الله تعالى مملوءٌ بالأمر بالمراقبة والترغيب فيها والحث عليها وبيان إحاطة علم الله بكل شيء.

قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ﴾ [النساء:١].

وقال : ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴾ [الاحزاب:٥٢].

وقال الله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ [يونس:٦٢].

وقوله تعالى :﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ ﴾ أي في عمل من الأعمال ، وقوله: ﴿ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ ﴾ثم قال : ﴿ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا ﴾ومعنى شهودًا أي شاهدين حاضرين لا يغيب عنا شيء من أعمالكم ولهذا قال تعالى: ﴿ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ أي تدخلون فيه ذلك العمل».

وقوله تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأۡنٖ وَمَا تَتۡلُواْ مِنۡهُ مِن قُرۡءَانٖ وَلَا تَعۡمَلُونَ مِنۡ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيۡكُمۡ شُهُودًا إِذۡ تُفِيضُونَ فِيهِۚ وَمَا يَعۡزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثۡقَالِ ذَرَّةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصۡغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ﴾ [يونس:٦١]. أي ولا يغيب عن ربك من مثقال ذرة والذرة هي النملة الحمراء الصغيرة ، في الأرض ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك أي من الذرة ولا أكبر إلا في كتاب مبين ، وهو اللوح المحفوظ» .

وقال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ وَنَعۡلَمُ مَا تُوَسۡوِسُ بِهِۦ نَفۡسُهُۥۖ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنۡ حَبۡلِ ٱلۡوَرِيدِ ١٦ إِذۡ يَتَلَقَّى ٱلۡمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلۡيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٞ ١٧ مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ إِلَّا لَدَيۡهِ رَقِيبٌ عَتِيدٞ ١٨ ﴾ [ق:١٦-١٨].

وقال الله تعالى: ﴿ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ

أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ [البقرة:٢٣٥].

وقال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾[الحديد:٤].

وقال -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى-: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾ [العلق:١٤].

وقال تعالى: ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ [غافر:١٩].

وقال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ ﴾ [الشعراء:٢١٨-٢٢٠].

وقال سبحانه: ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴾ [الفجر:٤].

وقال تعالى اخبارًا عن لقمان أنه قال لولده: ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان:١٦]، ومعنى ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ ﴾ أي الحسنة و السيئة.

يا من خلا بمعاصي الله في الظُلم ... في اللوح يُكتَبُ فعلُ السوءِ بالقلم

بها خلوتَ وعينُ الله ناظرةٌ ... وأنتَ بالآثم منه غير مكتتم

فهل أمنتَ من المولى عقوبته ... يامن عصى الله بعد الشيب والهرم

وقال آخر:

إذا ما قال لي ربي ... أما استحييت تعصيني

وتخفى الذنب من خلقي ... وبالعصيان تأتيني

قال الحارث المحاسبي: من صحح باطنه بالمراقبة والإخلاص، زين

الله ظاهره بالمجاهدة واتباع السُّنَّة .

وقال شُجَاعُ الكرماني -رَحِمَهُ ٱللَّهُ تعالى-: من عمرَ ظاهره باتباع السُّنَّة وباطنه بدوام المراقبة وغض بصره عن المحارم وكف نفسه عن الشهوات وأكل من الحلال لم تخطئ فراسته « وكان شجاع لا تخطئ له فراسة» .

وقال أبو حفص لأبي عثمان النيسابوري -رَحِمَهُ ٱللَّهُ- : إذا جلست للناس فكن واعظًا لقلبك ونفسك. ولا يغرنك اجتماعهم عليك. فإنهم يراقبون ظاهرك. والله يراقب باطنك[1].

فيا عبد الله رب نفسك على مراقبة ربك سواء كنت في البيت أو في السوق أو كنت بين الناس أو وحدك رب نفسك على المراقبة لله في ليلك ونهارك في السفر والحضر في السر والعلانية في الخلوة أو الجلوة .

وإذا خلوت بريبة في ظلمة والنفس داعية إلى الطغيانِ

فاستحِ من نظر الإله وقل لها إن الذي خلق الظلام يراني

ومن شعر الإمام أحمد بن حنبل الشيباني -رحمه الله- : قوله

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوت ولكن قل عليَّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا أنما تخفي عليه يغيب

ألم تر أن اليوم أسرع ذاهب وأن غدًا للناظرين قريب

أسأل الله أن يرزقنا جميعًا خشيته في الغيب والشهادة ومراقبته في السر والعلانية ، والله تعالى أعلى وأعلم .

---

(١) مدارج السالكين :ج٢(٧٤).

الخطبة الثانية :

الحمد لله الذي يوقظ القلوب الغافلة بالوعظ والتذكير أحمده سبحانه له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير وأشهد أن لا إله الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله البشير النذير والسراج المنير صلى الله عليه وعلى آله وصحبه والتابعين .

أما بعد :

فيا أيها المسلمون : قد سمعتم هذه الادلة العظيمة من كتاب ربنا – عَزَّوَجَلَّ– ، ومن كلام أهل العلم في المراقبة وأما ما صح من كلام نبينا محمد ﷺ في هذا الباب هذا شيء كثير ، ولكن نأتي إلى ذكر طائفة من أحاديث المصطفى محمد ﷺ ، فقد ثبت عند البزار [١] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال :قال رسول الله ﷺ : « **ثلاث مهلكات ، و ثلاث منجيات ، فقال : ثلاث مهلكات : شح مطاع و هوىً متبع وإعجاب المرء بنفسه ، و ثلاث منجيات : خشية الله في السر و العلانية و القصد في الفقر و الغنى و العدل في الغضب و الرضا** » ، فمراقبة الله سبب من أسباب النجاة من كل البلاء ففي صحيح مسلم [٢] عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سئل رسول الله ﷺ عن الإحسان، فقال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**» ، وفي هذا دليل على أن المراقبة لها مرتبتان ، الأولى أن تراقب الله

(١) البزار برقم (٢٧٩٢) كشف الأستار برقم (٨٠) والصحيحة برقم (١٨٠٢) وقد جاء عن عدة من الصحابة.
(٢) صحيح مسلم برقم (٨).

كأنك تراه ، وهذه مرتبة الطلب والشوق.

والمرتبة الثانية « أن الله رقيب عليك » فإن لم تكن تراه فإنه يراك. وهذه مرتبة الهرب والخوف والرهبة

إخوة الإيمان والعقيدة : لقد أوصى نبينا محمد ﷺ أصحابه كثيرًا بمراقبة الله تعالى : فقد ثبت عند أبي نعيم في الحلية [١] عن زيد بن أرقم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ : « **اعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، واحسب نفسك مع الموتى ، واتق دعوة المظلوم فإنها مستجابة**».

وصح« عن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال أوصاني خليلي ﷺ أن أخشى الله كأني أراه، فإن لم أكن أراه، فإنه يراني» . [٢]

وأخرج الطبراني في الأوسط [٣] عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال : أتى رجل النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، حدثني بحديث واجعله موجزًا، فقال له النبي ﷺ « **صل صلاة مودع كأنك تراه، فإن كنت لا تراه، فإنه يراك، وآيس مما في أيدي الناس تعش غنيًا وإياك وما يعتذر منه** ».

فيا عباد الله اتقو الله تعالى وراقبوه في السر والنجوى فقد صح عند الترمذي [٤] عن أبي ذر ومعاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : قال رسول الله ﷺ: « **اتق الله حيثما كنت ، وأتبع السيئة الحسنة تمحها،وخالق الناس بخلق حسن**».

ومراقبة الله سبب لإظلال العبد تحت ظل عرشه يوم القيامة : ففي الصحيحين [٥] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال : « **سبعة يظلهم الله**

(١) الحلية ج٨(٢٠٢) وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٩١٧).
(٢) جامع العلوم والحكم ج١(١٢٦).
(٣) الأوسط برقم (٤٤٢٧) وصححه الألباني الصحيحة برقم (١٩١٤).
(٤) صحيح الترمذي برقم (١٩٨٧).
(٥) البخاري برقم(١٤٢٣) ومسلم برقم (١٠٣١).

في ظله يوم لا ظل إلا ظله : إمام عادل ، وشاب نشأ في عبادة الله- عَزَّوَجَلَّ-، ورجل قلبه معلق بالمساجد ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه، وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة، فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه» .

ومراقبة الله سبب لتزكية النفوس:فقد جاء عند البيهقي في السُنن الكبرى[1] عن عبد الله بن معاوية رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال : « **ثلاث من فعلهن فقد طعم طعم الإيمان ، من عبد الله وحده فإنه لا إله إلا الله ، وأعطى زكاة ماله طيبة بها نفسه ، رافدة عليه في كل عام ، ولم يعط الهرمة ولا الدرنة ، ولا الشرط اللائمة ، ولا المريضة ، ولكن من أوسط أموالكم، فإن الله - عَزَّوَجَلَّ - لم يسألكم خيره ، ولم يأمركم بشره ، وزكى عبد نفسه**»، فقال: رجل ما تزكية المرء نفسه يا رسول الله ؟، قال :« **يعلم أن الله معه حيث ما كان**» .

قال الإمام الذهبي -رَحِمَهُٱللَّهُ-: قوله ﷺ : « **أن الله معه حيثما كان** » يريد أن الله محيط بعلمه بكل مكان والله على العرش .

والمراقبة لله -عَزَّوَجَلَّ-سر النجاة وسبب للعلو في الدنيا والآخرة والذكر والثناء الحسن،وقد قال الله تعالى عن يوسف النبي الكريم -عليه الصلاة والسلام-:﴿ وَرَٰوَدَتْهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلْأَبْوَٰبَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ ۚ قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ رَبِّيٓ أَحْسَنَ مَثْوَايَ ۖ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ ۖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [يوسف :٢٣-٢٤] .

---

(١) السُنن الكبرى للبيهقي ج٤(٣٤٧) الصحيحة :برقم (١٠٤٦).

وهذه امرأة تقول لابنتها : أخلطي الماء باللبن ، فقالت : ابنتها يا أماه إن عمر ينهى عن ذلك ، فقالت أمها : إن عمر لا يرانا ، فقالت الفتاة : إذا كان عمر لا يرانا ، فرب عمر يرانا .

وإذا كان العبد يعمل الأعمال المحرمة ولا يراقب الله ، فقد يعاقب من قبل الله عقوبة شديدة ، فالذنوب في الخلوات سبب الانتكاسات.

فالمنافقون قال الله عنهم: ﴿ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴾ [النساء :١٠٨] .

و جاء في سُنن ابن ماجه [١] عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ أنه قال: «**لأعلمن أقوامًا من أمتي يأتون يوم القيامة بحسنات أمثال جبال تهامة بيضاء ، فيجعلها الله** – عَزَّوَجَلَّ – **هباءً منثورًا** » ، قال ثوبان : يا رسول الله صفهم لنا جلهم لنا أن لا نكون منهم ونحن لا نعلم ، **قال** : « **أما إنهم إخوانكم ومن جلدتكم ويأخذون من الليل كما تأخذون ولكنهم أقوام إذا خلوا بمحارم الله انتهكوها**» .

ورحم الله ابن الجوزي إذ يقول: كان رجل لبَّانًا :أي كثير بيع اللبن بالبادية ، وكان يخلط الماء باللبن ، وجاء السيل فذهب بالغنم ، فجعل يبكي ويقول : اجتمعت تلك القطرات فصارت سيلًا.

وقد ثبت عند الإمام أحمد [٢] عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: « **إن رجلًا حمل معه خمرًا في سفينة يبيعه، ومعه قرد ، قال: فكان الرجل إذا باع الخمر، شابه بالماء ثم باعه ، قال: فأخذ القرد الكيس، فصعد**

(١) صحيح سُنن ابن ماجه :برقم (٤٢٤٥).
(٢) مُسند الإمام أحمد برقم (٨٠٥٥).

به فوق الدقل ، قال: فجعل يطرح دينارًا في البحر ودينارًا في السفينة، حتى قسمه » .

هذه العقوبات لمن غش الناس في البيع والشراء ولم يراقب رب العالمين -تَبَارَكَ وَتَعَالَى- فالله يمهل ولا يهمل فكن حذرًا يا مسلم من بطش الله وأخذه ، ولا تغتر بالحياة الدنيا ، فمتاعها زائل وبقاؤنا فيها قليل ، قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ [النساء :٧٧] .

أسأل الله أن يصلح أحوال المسلمين في كل مكان ، وأن يردنا جميعًا إلى دينه ردًا جميلًا .

اللهم اجعل اجتماعنا هذا اجتماعًا مرحومًا ، وتفرقنا من بعده تفرقًا معصومًا ، ولا تجعل فينا ولا معنا شقيًا ولا محرومًا ، اللهم أصلح لنا ديننا ودنيانا وآخرتنا ، إنك على كل شئ قدير ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .